

رسالةُ ابتزازِ ترامبِ لحلفائِهِ السُّعُودِيِّينَ وَالخَلِيجِيِّينَ "الأثرياءُ"



لا حمايةً مَجَانِيَّةً وَعَلَيْكُمْ فَتَحُ خَزَائِنُكُمْ لَنَا وَتَسْدِيدُ الْفَوَاتِيرِ كَامِلَةً.. وهذا لا يُعْفِيكُمْ مِنْ قَانُونِ "جيسنَا" وَتَعْوِيضَاتِهِ التَّرِيلْيُونِيَّةِ.. وَإِلَيْكُمْ قِصَّةُ الْبَدَوِيِّ وَنِعَاجِهِ الَّتِي رَوَاهَا الْمَلِكُ عَبْدُ

أولبرايت عندما طالبته بالشَّيْءِ نَفْسِهِ

عبد الباري عطوان

استخدام السيدة نيكى هيلي مَندوبة الرئيس الأمريكي دونالد ترامبِ حَقَّ الذَّقْصِ "الفيتو" ضِدَّ مَشْرُوعِ قَرَارِ تَقَدُّمِ بِهِ مِصْرَ، إِلَى مَجْلِسِ الْأَمْنِ يُطَالِبُ الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةَ بِالتَّوَجُّعِ عَنِ قَرَارِهَا بِنَقْلِ سَفَارَتِهَا إِلَى الْقُدْسِ الْمُحْتَلَّةِ "بَلَطْجَةٌ" سِيَاسِيَّةٌ عَلَى دَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الْخُطُورَةِ، وَلَكِنْ مَا هُوَ أخطرُ مِنْهَا فِي رَأْيِنَا، مَا وَرَدَ فِي الْإِسْتِرَاتِيجِيَّةِ الْأَمْنِيَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ الَّتِي أَعْلَنَهَا الرَّئِيسُ تَرَامْبُ أَمْسَ، وَتَشْكَالُ إِهَانَةً أُخْرَى لِحُلَفَاءِ بِرِلَادِهِ فِي مَنطِقَةِ الْخَلِيجِ الْعَرَبِيِّ.

لِلْمَرَّةِ الْأُولَى، وَمُنْذُ تَوَلَّىهِ الرِّئَاسَةَ، يُكْرِّرُ الرَّئِيسُ تَرَامْبُ مَا قَالَهُ فِي حَمَلَتِهِ الْإِنْتِخَابِيَّةِ حَوْلَ ضَرُورَةِ أَنْ تُسَدَّدَ الْبُلْدَانُ الثَّرِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ لِلْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ تَكْلُفَةَ الدِّفَاعِ عَنْهَا، وَبِطَرِيقَةٍ تَنْطَوِي عَلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْحِقْدِ وَالْفَطَاطَةِ.

إِنَّهَا مَرِحَلَةٌ قَادِمَةٌ مِنَ الْإِبْتِزَازِ تَسْتَهْدَفُ الْمَمْلَكَةَ الْعَرَبِيَّةَ السُّعُودِيَّةَ، وَمُعْظَمَ دُولِ الْخَلِيجِ، تَرْتَكِزُ عَلَى تَضْخِيمِ الْخَطَرِ الْإِيرَانِيِّ، مِنْ أَجْلِ إِرْهَابِ هَذِهِ الدُّوَلِ وَإِجْبَارِهَا عَلَى دَفْعِ مِئَاتِ الْمِليَارَاتِ مِنْ اِحْتِيَاطَاتِهَا الْمَالِيَّةِ، أَوْ حَتَّى بِالِاسْتِدَانَةِ مِنَ الْبُنُوكِ الْأَمْرِيكِيَّةِ، وَرَهْنُ اِحْتِيَاطَاتِهَا النِّفْطِيَّةِ وَالْغَازِيَّةِ لِعُقُودٍ قَادِمَةٍ إِذَا اقْتَضَى الْأَمْرُ، تَمَامًا مِثْلَمَا فَعَلَ الْخَيْدِيَوِيُّ إِسْمَاعِيلَ، مَلِكِ

مصر الأسبق، بقناة السويس حتى انتهى بها الأمر إلى خضوعها بالكامل لسيطرة الدائنين الغربيين وبقية القصة معروفة.

الرئيس ترامب عاد من زيارته الخارجية الأولى إلى الرياض في شهر أي؟ار (مايو) الماضي، بأكثر من 460 مليار دولار على شكل استثمارات ومعونات ومصفات أسلحة، وفوقها هبة بمئة مليون دولار لمؤسسة ابنته إيفانكا الخيرية، مثلما حصل على حوالي 50 مليار دولار من بيع طائرات حربية إلى الإمارات وقطر والبحرين، ويبدو أنه كتاجر وسمسار ما زالت شهيته مفتوحة للمزيد طالما أن هناك من لا يقول لا، ولا يتردد عن إخراج دفتر الشيكات وتوقيع الصكوك المفتوحة.

يُروى عن العاهل السعودي الملك عبد الله بن عبد العزيز، رحمه الله، أنه تعرّض في أوائل فترة حكمه إلى محاولة ابتزاز أمريكية مؤمثلة، عندما وصلت إلى مضاربه السيدة مادلين أولبرايت، وزيرة الخارجية الأمريكية في حينها، وحملت إليه عرضاً بحماية المملكة من أخطار تُهددها من العراق وإيران، وإرسال قوات المارينز للقيام بهذه المهمة.

بعد تفكير عريق في ليلة ربيعية مُمطرة، التفت إلى الضيفة الأمريكية، وروى لها رواية ذلك البدوي ومُعاناته مع الذئب الذي يُهاجم قطع أغنامه بين الحين والآخر، ويخطف إحداهما، وقال أنه، أي البدوي، أراد استشارة "خبرائه" الذين أشاروا عليه بالاستعانة بقطيع من كلاب الحراسة الشرسة للتصدّي لهذا الذئب الملعون، وأخذ برأيهم، وفعلاً نجحت الكلاب في التصدي للذئب في كل مرة يقترب من القطيع حتى تسرب اليأس إلى قلبه، أي الذئب، واختفى تماماً من المشهد، وسلمت الأغنام من شره.

الملك عبد الله استطرد في القصة بقوله أن البدوي حلّ مشكلة الذئب، ولكن بدأ يُواجه مشاكل أخرى، وهي أن قطيع الكلاب بات يحتاج إلى رأسٍ أو ثلاثة من الغنم يوميّاً لإطعامها وسدّ جوعها بصفة يومية، الأمر الذي ضاعف خسائره، وبات القطيع يتناقص بسرعة يوماً بعد يوم حتى أوشك على الزوال، وبات ذلك البدوي يترحم على أيام الذئب.

السيدة أولبرايت فهّمت الرسالة جيداً، وغادرت مضارب العاهل السعودي الراحل الصحراويّة مهولّة، ولا يرى غير الغبار خلفها، ولم تفتح الإدارة الأمريكية هذا الموضوع مطلقاً حتى جاء الرئيس ترامب.

الرئيس ترامب يُريد "الجزية" من حلفائه العرب نقدًا، فلا حماية مجانية، والمستشار هو جاريد كوشنر صهره، الذي بات صديقًا حميمًا للمسؤولين السعوديين حاليّاً، ويُقدّم لهم استشاراته في كيفية التعاطي مع قراره والد زوجه بشأن تهويد القدس، والمصفة الكبرى لحل

القضية الفلسطينية بإقامة دولة غزّة، والتنازل عن حق العودة والمدينة المقدّسة لليهود، والذئب المُفترض هو إيران.

لا ننسى في هذه العُجالة التذكير بقانون "جيسا" الذي يُطالب المملكة ودُول خليجية أُخرى بتعويضاتٍ لضحايا هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 التي تُقدّر بِبضعَةِ آلافٍ من المليارات، والمحاكم الأمريكية تَجْمع الأدلّة والبراهين بنفسِ طَويلٍ، وثيقةٍ بالنّصر.

لا نعتقد أن القطيع سيَبقى قَطيعًا بعد إطعام كلاب الحراسة الجَشعة، ولا نُبالغ إذا قُلنا أن المملكة ستتردّم على أيّام الذئب، وستندم أشدّ الندم على الاستعانة بـكلاب الحراسة الأمريكية.